مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٥) العدد (٤) ٢٠٢١
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (4) 2021

سيمياء العنوان في النّصّ السّيرذاتي ((قصّتي مع الشّعر)) لنزار قباني أنموذجاً

أ.د. سميرة الرّاهب *

د. فاطمة بلّه **

وريف جميل جابري ***

(تاريخ الإيداع ١١ /١ /٢٠٢١. قُبِل للنشر في ٢٥/٤ /٢٠٢١)

□ **ملخّص** □

ينعقد هذا البحث للوقوف على عتبة العنوان في النّصّ السّيرذاتي، باستقراء العناوين الموجودة في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) للشّاعر السّوري نزار قباني الّتي تشمل العنوان الرّئيس والعناوين الدّاخلية، وتحليلها من منظور سيميائيّ؛ وذلك لرصد الدّلالات الكامنة فيها، وربطها بالمتن السّيرذاتي.

فبيّنت هذه الدّراسة التّحليلية أنّ العناوين هي أهم السّمات الّتي تساعد في تجنيس النّصّ السّيرذاتي، وظهر ذلك جليّاً باستخدام ضمير المتكلم في العنوان الرّئيس ((قصّتي مع الشّعر))، والعناوين الدّاخلية ((أسرتي وطفولتي، الشّعر قدري، مفاتيحي، مدرستي الأولى)).

ولأنّ العناوين تمثّل علامات سيميائيّة ذات محمول دلالي تثير القارئ وتحفزه لتتبع مسارها الكامن في النّصّ، كان اختياره للعناوين في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) اختياراً دالّاً جعل من النّصوص الموجودة في الكتاب تتعالق فيما بينهما لتشكّل نصّاً واحداً هو سيرة نزار قباني الشّعريّة.

وتبدأ الدّراسة بتعريف موجز للسّيرة الذّاتية وأهمّ سمات النّصّ السّيرذاتي، ثمّ مقاربة العنوان الخارجي وفق سيميائيّة بيرس الّتي تعنى بثلاثة أبعاد: البعد التّركيبيّ، والبعد التّداوليّ، والبعد الدّلاليّ. كما جرى اختبار مدى ارتباط العناوين الدّاخليّة بنصوصها، ورصد الأبعاد الدّلاليّة الّتي توحي بها، وربط هذه العناوين بالعنوان الرّئيس للكتاب.

وخلصت الدّراسة إلى أنّ العناوين بوصفها علامات استطاعت أن تؤثث لمكون نصّي واحد هو العنوان الرّئيس للكتاب ((قصّتي مع الشّعر)).

الكلمات المفتاحيّة: العتبات، السّيمياء، العنوان، السّيرة الذّاتيّة.

* أستاذ قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة تشرين اللّاذقيّة – سوريّة.

** أستاذ مساعد، قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة تشرين اللّاذقيّة – سوريّة.

***طالبة دراسات عليا (ماجستير)، قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة تشرين اللّاذقيّة – سوريّة.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٥) العدد (٤) ٢٠٢١
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (4) 2021

The semiotic of the tittle in autobiographical text ((My story with poetry)) book of Nezar Qabani

Wareef Jamil Jaberi*
Samira Alrahib**
Fatima Balla***

(Received 11/1 /2021. Accepted 25/4/2021)

□ ABSTRACT □

This research is done to study the threshold of the tittle in the autobiographical text and see the title in ((My story with poetry)) book of Syrian writer's Nezar Qabani that, includes the main address and internal headings and analyzes it from a semiotic perspective to monitar the Semiotics in herent in it and linking it to the biographical text .

This analytical study showed that the titles are the most important features that helps in naturalizing the autobiographical text and this was evident by using the first person's pronoun in the main title ((My story with poetry)) and internal headings ((My keys, My family and my childhood, My first school, poetry is my destingn))

Because titles represent Semiotic signs with as semantic portable, the reader is excited to follow it's in herent path in the text. His choice of headings in ((My story with poetry)) book was significant choice that made the texts in the books correlate with each other to form a single text is a Nezar Qabani biography .

The study begins with abrief adefiniton of autobiography and the most important of the autobiographical text. Then, with an approach to the external address, according to Pierce's Semiotics which is concerned with three dimensions: The deliberative, the Semiotic, and the synthetic definition .

The extent to which the internal headings are related to their texts was examined and the semantic dimensions that suggest them were monitored and linked to the title of the book. The study concluded that headings as signs were able to furnish one textual component, which is the main title of ((My story with poetry)) book .

Key Words: Title, Autobiography, Semiotic, Thresholds.

*Postgraduate student Arts in Arabic language at faculity of Arts and Humanities at Tishreen University, Latakkia Syria.
**Professor, Arabic language at faculity of Artsond and Humanities at Tishreen University, Lattakia, Syria.
***Associated Professor , Arabic language at faculity of Artsond and Humanities at Tishreen University, Lattakia, Syria.

مقدّمة البحث:

تنامت في السّنوات الأخيرة الدّراسات السّيميائيّة للأجناس الأدبيّة المختلفة مثل (الرّواية، المسرحيّة، القصّة)، لكن هذه الدّراسات لم تعن بالسّيرة الذّاتيّة بل بقيت هذه الأخيرة بعيدة عن البحث والدّراسة والتّنقيب على الرغم من أهمّيتها، وخاصّة أنّ أغلب كتّابها من كبار الأدباء والمفكرين مثل ((طه حسين، ونجيب محفوظ، وأحمد أمين، وتوفيق الحكيم، وفدوى طوقان، وجبرا إبراهيم جبرا، وإحسان عباس، ونزار قباني)) الّذين رأوا الحياة بعين الفرد العادي وبعين المبدع الخلّاق، وبعين الفيلسوف المفكّر والفنان الحالم، بعين السّياسيّ الفاعل والعامل البنّاء، فكانت حيواتهم نضالاً فكرياً وسياسياً وأدبياً وعلمياً وعملياً جعل من سيرهم مناهج ينبغي على الدّارسين أن يولوها حقها من البحث، وأن يأخذوا منها العبر والدّروس.

ولقد وقع اختيارنا في هذا البحث على سيرة الشّاعر والكاتب السّوري نزار قباني في كتابه ((قصّتي مع الشّعر))؛ لأنّ نزاراً يتميّز بثقافة واسعة، وملكة إبداعيّة خلّاقة، وفكر ثاقب الأمر، الّذي جعل سيرته تختلف عن سير غيره من الأدباء، إذ توسل تقنيات أسهمت في جماليّة سيرته، وأضفت عليها الحيويّة، وأكسبتها الواقعيّة لما أورد صوراً فوتوغرافيةً له ولأسرته ممثلاً لكلّ مرحلة بلون من الألوان، ممّا أسهم في إضفاء المصداقيّة لسيرته.

ولأنَ مساحة البحث الضّيقة لا تستوعب الإحاطة بجميع ما يندرج تحت النَصَ السَيرذاتي بمعناه الواسع، وكما أنّ تطبيق السّيميائيّة بكلّ ما فيها من أدوات إجرائيّة على نصّ محدّد لا يستوعبه مقال واحد، ركّزنا الجهد على العناوين؛ لغنى الكتاب بها، إذ يحوي سبعة وعشرين عنواناً. ولأنّ العنوان هو البوابة الأولى بل الرّئيسة الّتي يتمكن المتلقي من خلالها الدّخول إلى عالم النّصّ السّيرذاتي. فقد حاول البحث التّعريف بأنواع العنوان في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) الّتي تمثلت في العنوان الرّئيس، والعناوين الدّاخلية، وتحليلها تحليلاً سيميائياً يبيّن دورها في التّعريف بهويّة النّصّ، واستكشاف الدّلالات الكامنة فيه، وفيما إذا كانت هذه العناوين قادرة على جذب اهتمام المتلقي للولوج إلى داخل المتن السّيرذاتي.

الهدف من البحث:

- استقراء العناوين في كتاب ((قصّتي مع الشّعر))، واستجلاء أبعادها الدّلاليّة والإيحائيّة، وربطها بنصوص الكتاب.
- تسليط الضّوء على إبداع نزار قباني الّنثري، لأنّه لم يحظ بالدّراسة الكافية سيميائياً. فسيرته تتسم بحقل دلاليّ واسع، وبعد سيميائيّ عميق.

أهميّة البحث:

أثبتت الدّراسات السّيميائيّة أنّ العنوان مصطلح إجرائيّ ناجع في مقاربة النّصّ الأدبي، ومفتاح الولوج إلى أغوار النّصّ العميقة قصد تأويلها واستنطاقها. وهذه الدّراسة تبيّن أنّ نثر نزار قباني يشكّل مادة غنيّة وخصبة للبحث والدّرس السّيميائيّ.

أسئلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل استطاع العنوان بوصفه مدخلاً رئيساً للنّصّ أن يوجّه القارئ إلى غاية الكاتب من نصّه الأدبيّ؟
- إلى أي مدى استطاعت العناوين أن تساعد في تجنيس كتاب ((قصّتي مع الشّعر))؟
- هل اختيار الكاتب نزار قباني للعناوين في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) كان اعتباطيّاً، أم إن اختياره لها دون غيرها كان عن قصد، ليدلّ على دلالات يقصدها تحديداً، وليحمل هذه الدّوال ما جال بخاطره وفكره من مدلولات؟
- ماهي الأبعاد الدّلاليّة لعناوين الكتاب، وإلى أي مدى استطاع الكاتب أن يربط دلالة العناوين الدّاخليّة بدلالة العنوان الرّئيس؟

تعريف المصطلحات إجرائيّاً: إنّ أهمّ المصطلحات الّتي يطرحها البحث ((السيمياء)) ويعني لغةً "السُّومَةُ والسِّيمةُ والسِّيمياء: العلامة"[١]. أمّا اصطلاحاً فقد عرّفه دي سوسير بقوله: هو علم "موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءاً من علم النّفس الاجتماعيّ، وهو بدوره جزء من علم النّفس العام وسأطلق عليه علم العلامات (semiology)"[٢]، وثاني المصطلحات الّتي يناقشها البحث ((السّيرة الذّاتيّة)) وتعني لغةً: "الطّريقة أو السّنة أو الهيئة"[٣]. أمّا اصطلاحاً فتعني "سيرة شخص يرويها بنفسه"[٤]، وثالث المصطلحات الّتي يتضمّنها البحث ((العنوان)) ويعني لغةً: "العنوان والعنوان سمة الكتاب"[٥]. أمّا اصطلاحاً فيعرّفه ليو هوك* بقوله: "العنوان هو مجموعة من العلامات اللّسانية من كلمات وجمل، وحتّى نصوص قد تظهر على رأس النّصّ لتدلّ عليه، وتشير لمحتواه الكلّي، ولتجذب جمهوره المستهدف"[٦].

١- ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين عبد الوهاب، محمّد العبيدي، دار إحياء التّراث العربيّ بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٦، مادة سوم.

٢ – سوسير، فردينان دي، علم اللّغة العامّ، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الآفاق العربيّة الأعظميّة، بغداد، د.ط، ١٩٨٥، ص٣٤.

٣- ابن منظور، لسان العرب، مادة سير.

٤- المبخوت، شكري، سيرة الغائب، سيرة الآتي: السّيرة الذّاتية في كتاب الأيّام لطه حسين، دار الجنوب للنّشر، تونس، ط١، ١٩٩٢، ص٩.

٥- ابن منظور، لسان العرب، مادة عنا.

*- ليوهوك : ناقد أمريكيّ له دور بارز في التّأسيس لعلم العنوان وخاصّة مع ظهور كتابه ((سمة العنوان)) سنة ١٩٧٣، الّذي يعدّ بحقّ كتاباً في فقه العنونة من جميع جوانبه؛ لأنّه قام بدراسة العنونة من منظور مفتوح يستند إلى العمق المنهجيّ والاطلاع على اللّسانيّات ونتائج السّيميوطيقيا. ينظر: رضا، عامر، سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي، ص١٢٧.

٦- بلعابد، عبد الحق، عتبات جيرار جنيت من النّصّ إلى المناصّ، منشورات دار الاختلاف، ط١، ٢٠٠٨، ص٦٧.

الدّراسات السّابقة:

لم يقع بين يدي دراسة سيميائيّة أخذت على عاتقها دراسة العنوان في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) خاصّة، ونثر نزار قباني عامّة. ولكن هناك دراسات تناولت نثره من جوانب أخرى نذكر منها: دراسة موسومة بـ ((نثر نزار قباني في ضوء اللّسانيّات الاجتماعيّة)) لآلاء غسان عبده أصفهاني، ودراسة موسومة بـ ((الانزياح الأسلوبيّ: دراسة في نثر نزار قباني)) لأسيل محمد صالح الدليمي. أما الدّراسات السّيميائيّة فقد ركّزت على شعر نزار قباني ومنها: دراسة موسومة بـ ((القصائد السّياسيّة لنزار قباني دراسة سيميائيّة)) لنبيلة تاوريريت، ودراسة موسومة بـ ((سيميائيّة العنونة في ديوان نزار قباني قصائد متوحشة أنموذجاً)) لخولة كاتب.

منهج الدّراسة:

المنهج المتبع هو المنهج الوصفيّ الّذي يعنى باستقراء العناوين وتحليلها لاستخلاص الدّلالات جميعها الكامنة فيها في ضوء آليّات التّحليل السّيميائيّ.

سمات النّص السّيرذاتي:

إنّ السّيرة الذّاتية فنّ أدبي اختلف الدّارسون في كثير من تفاصيله، سواء من حيث النّشأة أو من حيث المفهوم، وفيما يأتي عرض موجز للسّيرة الذّاتية وأكثر التّعريفات اقتراباً من مفهومها.

وفيما أثير حول نشأتها، تشير الدّراسات إلى أنّ البذور الأولى لهذا الجنس الأدبيّ نمت في مصر، وتمثّل أقدم شكل لها في تلك النّقوش الّتي نقشها الفراعنة على شواهد قبورهم وأهراماتهم.[١]

ففي الغرب يرجع الفضل إلى اعترافات جان جاك روسو (١٧٣٩-١٧١٢) في نماء هذا الجنس الأدبيّ وتطوره، حتّى أصبح له كيان أدبيّ مستقلّ خاصّ[٢]. ويرى بعض الباحثين أنّ هناك إرهاصات لنشأة السّيرة الذّاتية سبقت اعترافات روسو بقرون عدّة مثل اعترافات القديس أوغسطين (٤٣٠-٣٥٤) م.[٣]

وفي أدبنا العربيّ نجد على امتداد عصورنا الأدبيّة ما يمثّل بذوراً للسّيرة الذّاتية ويشار من ذلك مثلاً إلى: قطعة نثريّة سيريّة لسلمان الفارسي (٣٦) هجري أوردها الخطيب البغدادي في كتابه ((تاريخ بغداد))، وإلى مقاطع سيريّة ذاتيّة مثل (سيرة إبراهيم الموصلي ١٨٨هجري وابنه إسحاق) أوردها الأصفهاني في كتابه ((الأغاني))، وإلى قطع من سير العلماء مثل (سيرة حنين بن إسحاق ٢٦٠ هجري، وسيرة ابن الهيثم ٤١٧ هجري، وسيرة ابن سينا ٤٢٨ هجري، وسيرة عبد اللطيف البغدادي ٦٢٩ هجري) أوردها ابن أبي أصبيعة في كتابه ((عيون الأنباء في طبقات الأطباء)) وصولاً إلى كتب متخصّصة في السّيرة الذّاتية مثل كتاب ((المنقذ من الضلال)) للغزالي، وكتاب ((الاعتبار)) لأسامة بن منقذ ٥٨٤ هجري.[٤]

١-: ينظر: ضيف، شوقي، التّرجمة الشّخصية، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٧، ص٧.

٢- ينظر: ماي، جورج، السّيرة الذّاتية، تر: محمّد القاضي، عبد الله صولة، مكتبة الأدب العربيّ القاهرة، ط١، ٢٠١٧، ص١٦٨-٢٣.

٣- ينظر: شرف، عبد العزيز، أدب السّيرة الذّاتية، الشّركة المصريّة العامّة للنّشر، لونجمان، مصر، ط١، ١٩٩٢، ص٣٩.

٤- ينظر: شاكر، تهاني، عبد الفتّاح، السّيرة الذّاتية في الأدب العربيّ (فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس، نموذجاً)، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص٥٣-٣٨.

وإذا تتبّعنا تدرّج السّيرة الذّاتية سنتوقف في العصر الحديث عند العديد من السّير الّتي ظهرت في القرن التّاسع عشر مثل: ((تلخيص الإبريز في تلخيص باريز)) لرفاعة الطّهطاوي، و((الخطط التّوفيقية، وعلم الدّين)) لعلي مبارك، و((السّاق على السّاق)) لأحمد فارس الشّدياق، والذي يجمع بين هذه السّير أنّ أصحابها لم يتأثّروا في كتابتها بالأدب الغربيّ، على الرغم من معرفة بعضهم بهذا الأدب.(١)

وفي القرن العشرين تشير الدّراسات إلى أنّ كتاب ((الأيام)) لطه حسين قد وضع حجر الزّاوية لأدب السّيرة الذّاتية، "وكان أثره في الأدب العربيّ الحديث أشبه باعترافات روسو في الأدب الغربيّ"(٢)، وامتدّ هذا الفن فكتب أحمد أمين ((حياتي))، وكتب إبراهيم المازني ((قصّة حياة))، ثم كتب لطفي السّيد ((قصّة حياتي))، كما كتب توفيق الحكيم ((سجن العمر))، وأصدرت نوال السّعداوي كتاب ((مذكّرات طبيبة)). وسرعان ما انتشر هذا الفنّ في البلاد العربيّة ليعمّ جغرافية الوطن العربي. فإذا بميخائيل نعيمة يكتب سيرته الّتي حملت عنوان ((سبعون)). كما كتبت الشّاعرة الفلسطينيّة فدوى طوقان سيرتها ((رحلة جبلية .. رحلة صعبة)).

أمّا من حيث المفهوم فقد تعدّدت التّعريفات الخاصّة بهذا الفنّ فمنها: التّعريف الّذي قدّمه فيليب لوجون* إذ يرى أنّها "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاصّ، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تأريخ شخصيّته"(٣). ويعرّفها عبد العزيز شرف بقوله: "السيرة الذاتية تعني حرفياً ترجمة حياة إنسان كما يراها هو"(٤).

أمّا يحيى إبراهيم عبد الدّايم فيعرّفها بقوله: "والتّرجمة الذّاتية الفنيّة هي الّتي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والاتسّاق في البناء والرّوح وفي أسلوب قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافياً كاملاً عن تاريخه الشّخصي، على نحو مميّز حافل بالتّجارب والخبرات المنوعة الخصبة"(٥).

ونلاحظ ممّا سبق أنّ التّعريفات جميعها ترى في السّيرة الذّاتية سرداً متتابعاً يعرض حياة صاحبها، وهي جميعها تدور حول مفهوم أساسي واحد هو تاريخ الحياة الفرديّة.

١- ينظر: إبراهيم، يحيى، عبد الدّايم، التّرجمة الذّاتية في الأدب العربيّ، مكتبة الهيئة المصريّة العامّة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٥، ص٤٨-٤٧.

٢- الباردي، محمّد، عندما تتكلّم الذّات، السّيرة الذّاتية في الأدب العربيّ الحديث، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريّة د.ط، ٢٠٠٥، ص١٩.

*- فيليب لوجون: ناقد فرنسيّ يعد من الباحثين المختصّين المعترف بهم في مجال السّيرة الذّاتية، ويمثّل مؤلّفه ((الميثاق السّيرذاتي)) الانطلاقة العالميّة لمشروعه النّقدي حيث لفت إليه الأنظار منظرًا وناقدًا مختصّاً في الأدب الشّخصي دون غيره (ينظر: حميداتو، علي، بين السّيرة الذّاتية والتّخييل الذّاتي من التّأسيس إلى التّجنيس، ص١٤-١٣.

٣- لوجون، فيليب، السّيرة الذّاتية (الميثاق والتّاريخ الأدبيّ)، تر: عمر حلي، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤، ص٨.

٤- شرف، عبد العزيز، أدب السّيرة الذّاتية، ص٢٧.

٥- إبراهيم، يحيى، عبد الدّايم، التّرجمة الذّاتية في الأدب العربيّ، ص١٠.

ولأنّ السّيرة الذّاتيّة تتداخل مع الأجناس الأدبيّة الأخرى، لابدّ لها من سمات تميّزها عن غيرها، ويمكننا تحديد هذه السّمات عن طريق دراسة السّيرة الذّاتية لنزار قباني؛ وذلك وفق التّقسيم الّذي قدّمه فيليب لوجون للعناصر المكونة للنّصّ السّيرذاتي:

- **العناصر المنتمية لداخل النّصّ السّيرذاتي:**

١- التّطابق بين المؤلف والسّارد والشّخصية الرّئيسة:

ويتّضح هذا التّطابق بين المؤلّف والسّارد والشّخصية الرّئيسة في سيرة نزار قباني باستخدامه ضمير المتكلّم في العنوان الرّئيس ((قصّتي مع الشّعر)) الّذي يحيل مباشرةً إلى ذات الكاتب، كما نجد أنّ نزار قباني قد أشرف بنفسه على طباعة كتبه وأشعاره، وعنون هذا الكتاب بـ ((الكتاب التّاسع والعشرون ١٩٧٠ قصّتي مع الشّعر)) ضمن سلسلة الأعمال النثريّة الكاملة – بالجزء السّابع، ويعدّ هذا التّرتيب علامة سيميائيّة تشير إلى حرص نزار الشّديد على التّحلّي بالموضوعيّة والصّدق والصّراحة ليس في سيرته فحسب، وإنّما في أعماله الشّعرية والنّثرية جميعها. ونلاحظ أنّ نزاراً اتّخذ من ضمير المتكلّم ((أنا)) صوتاً سرديّاً ناطقاً بهموم الذّات وأحلامها وذكرياتها، فعلى طول المسار السّردي لنزار نجد هناك راوياً يحكي في الزّمن الحاضر ما حدث في فترة سابقة يقول: "أنا من أسرة تمتهن العشق"[١]، ويقول أيضاً: "مدرستي الأولى هي الكليّة العلميّة الوطنيّة في دمشق، دخلت إليها في سن السّابعة من عمري وخرجت في سن الثّامنة عشرة..."[٢] فالّذي يعيش الحدث هو ابن السّابعة، وشاب ابن الثّامنة عشرة، والّذي يروي الأحداث هو كهل، بحيث نجد أنّ الطّفل والشّاب عاشا الحدث، أمّا الكهل فهو يسترجع الأحداث العالقة في ذهنه وذاكرته. ولمّا كان الضّمير النّحوي لا يحلّ إشكاليّة التّطابق بين المؤلّف والسّارد والشّخصية الرّئيسة فقد حرص نزار قباني على التّأكيد أنّ قصّته مع الشّعر كتبت بيده يقول: "لا أحد يستطيع أن يكون فمي أكثر من فمي"[٣] وممّا سبق نجد أنّ عناصر التّطابق قد حقّقت في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)).

٢- الميثاق السّيرذاتي:

يشكّل الميثاق السّيري حدّاً فاصلاً بين الأجناس الأدبيّة؛ إذ يحدّد هويّة النّصّ دون الاستعانة بعوامل خارجيّة، ونميّز نوعين من المواثيق:

- الميثاق السّيرذاتي:

إذا أردنا تقصّي الميثاق السّيرذاتي في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) نجده بوضوح في التّطابق الاسميّ بين المؤلّف والسّارد والشّخصية الرّئيسة،

١- قباني، نزار، قصّتي مع الشّعر، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، ط٩، ٢٠٠٠، ص٧٣.

٢- المصدر السّابق، ص٤١.

٣- المصدر السّابق، ص٨.

إذ أعلن عن اسم المؤلّف بوضوح على غلاف الكتاب، وعلى دار النّشر أيضاً (منشورات نزار قباني)، والكتاب قد صرّح باسم البطل (الشّخصية الرّئيسة) فيه أكثر من مرة من خلال استخدام ضمير المتكلّم ((أنا والياء))، ويظهر ذلك جليّاً في العنوان الرّئيس ((قصّتي مع الشّعر))، وفي العناوين الدّاخلية: ((حبيباتي، أسرتي وطفولتي، مدرستي الأولى، الشّعر قدري، أنا والدّنجوانية))، كما يصرّح الكاتب في إضاءة كتابه عن نوع الكتاب بقوله: "هذا الكتاب سيكون نوعاً من السّيرة الذّاتية"[١].

- **الميثاق المرجعي:**

"هذا النوع خاصّ بفنون القول الّذي يتوخى الكاتب الدّقة العلميّة والحقيقة التّاريخية الّتي يمكن التّحقّق من صحّتها بالرّجوع إلى المصادر الأخرى، أو تلك الّتي يحيل عليها الكاتب في النّصّ، وتدخل السّيرة الذّاتية في النّصوص المرجعيّة لأنّها تشترك مع الخطاب العلمي أو التّاريخي في أنّها تخبر عن واقع خارج النّصّ يمكن التّحقّق من صحّته"[٢]. وهذا الميثاق في ((قصّتي مع الشّعر)) يتجلّى عندما يحيل الكاتب في عناوينه الدّاخلية مثل ((هوامش على دفتر النّكسة، حزيران والشّعر)) إلى حوادث تاريخيّة بعينها تعبر عن واقع تاريخي أو حقيقة تاريخيّة يمكن التّحقّق من صحّتها بالرّجوع إلى مصادر أخرى، مما يدل على حرص الكاتب على إعطاء سيرته المصداقيّة، والتزامه بالعقد المبرم بينه وبين القارئ، ومن الأمثلة أيضاً ربطه لولادته بولادة الثّورة ضد الاحتلال الفرنسيّ في أثناء سرده للأحداث يقول: "فقد كانت حركة المقاومة ضد الانتداب الفرنسيّ تمتد من الأرياف السّورية إلى المدن و الأحياء الدّمشقية، وكان حيّ الشّاغور حيث كنّا نسكن، معقلاً من معاقل المقاومة، وكان زعماء هذه الأحياء الدّمشقية من تجار، ومهنيّين، وأصحاب حوانيت، يموّلون الحركة الوطنيّة ويقودونها من حوانيتهم ومنازلهم"[٣].

- **العناصر المنتمية لخارج النّصّ السّيرذاتي:**

وتتألف هذه العناصر من النص الملحق والعناصر المحيطة بالنص وتشمل اسم المؤلف، ودار النشر، والمقدمة، والإهداء، ودلالة الصورة على الغلاف، أو الصور الداخلية للعمل، والعنوانات التي أول ماتقع عليها عين القارئ.

سيمياء العنوان:

لقد اهتمّت السّيميائية بالعنوان، وعدّته مصطلحاً إجرائيّاً ناجعاً في مقاربة النّصّ الأدبي. ومن أهمّ الباحثين والدّارسين الغربيّين الّذين بحثوا في أهمّية العنوان وطبيعة صلته بالنّصّ "رولان بارت"، و "ليو هوك"، و "جيرار جنيت" وأمّا الدّارسين العرب فنذكر منهم: "جميل حمداوي"، و "محمد فكري الجزّار"، و "بسّام قطوس"، و "خالد حسين حسين" وغيرهم.

فالعنوان عند جميل حمداوي "الرّأس الّذي يعلو جسد النّصّ"[٤]، بينما نظر محمد فكري الجزّار نظرة مغايرة؛ إذ ركّز

١- قباني، نزار، قصّتي مع الشّعر، ص١٣.

٢- هياس، شكري، خليل، سيرة جبرا الذّاتية في شارع الأميرات والبئر الأولى، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريّة د.ط، ٢٠٠٥، ص٢٠.

٣- قباني، نزار، قصّتي مع الشّعر، ص٢٦.

٤- حمداوي، جميل، السّيميوطيقيا والعنونة، مجلّة عالم الفكر، مج٢٥، ع٣، الكويت ١٩٨٧، ص١٠٨.

على ماهيّته فكلّ عنوان "هو مرسلة message صادرة عن مراسلة addresse إلى مرسل إليه 'addresse، وهذه المرسلة محمولة على أخرى هي العمل، فكلّ من العنوان وعمله مرسلة مكتملة ومستقلة"(١). ويقدّم بسّام قطوس تعريفاً وتجديداً للعنوان ومفهومه فيرى أنّ العنوان "يشكّل علامة أو إشارة تواصليّة له وجود فيزيقيّ/ ماديّ، وهو أوّل لقاء مادّي محسوس بين المرسل (النّاصّ) والمتلقي"(٢). ويرى خالد حسين "أنّ العنوان من حيث هو تسمية للنّصّ وتعريف به وكشف له، يغدو علامة سيميائيّة تمارس التّدليل، وتتموقع على الحدّ الفاصل بين النّصّ والعالم ليصبح نقطة التّقاطع الاستراتيجيّة الّتي يعبّر فيها النّصّ إلى العالم، والعالم إلى النّصّ، لتنتهي الحدود الفاصلة بينهما ويحتاج كلّ منهما الآخر"(٣). والدّراسات الغربيّة الّتي اشتغلت على العنوان هي للنّاقد الفرنسيّ رولان بارت الّذي يرى "أنّ العناوين عبارة عن أنظمة دلاليّة سيميائيّة، وهي أيضاً رسالة مسكوكة مضمّنة لعلامات دالّة مشبعة برؤية العالم، ويغلب عليها الطّابع الإيحائيّ التّرميزي على الرغم من أنّها قد ترد أحياناً في كلمة واحدة(٤). والنّاقد الفرنسي جيرار جنيت اهتمّ بدراسة العناوين إذ أفرد لها فصلاً خاصّاً في كتابه ((عتبات)) الّذي ترجمه عبد الحق بلعابد عن اللّغة الفرنسيّة، مؤكّداً ضرورة دراسة العنوان وعدم إهماله بل يجب إعطاؤه النّصيب الأوفر من البحث؛ ولأنّه هو الخطوة الأولى الّتي تعترضنا ضمن خطوات الحوار مع النّصّ؛ "إذ تشتغل العناوين وبخاصّة في التّداول الحديث، باعتبارها علامات سيميائيّة مشحونة بالدّلالات الرّمزيّة والإيحائيّة"(٥).

ومن بين الدّارسين الّذين أولوا اهتماماً للعنوان النّاقد ليوهوك في كتابه ((سمة العنوان))؛ إذ يرى أنّ العنوان جهاز مفاهيمي كامل يعين القارئ في الوصول إلى معنى النّصّ، كما حاول أن يضع تعريفاً دقيقاً للعنوان فعرّفه بقوله: "العنوان هو مجموعة من العلامات اللّسانيّة من كلمات وجمل، وحتّى نصوص قد تظهر على رأس النّصّ لتدلّ عليه وتعيّنه، وتشير لمحتواه الكلّي، ولتجذب جمهوره المستهدف"(٦).

وممّا سبق يمكن القول: إنّ العنوان في مفهومه العامّ هو علامة لغوية مشفرّة تحتاج إلى متلقٍّ يفكّ الرّموز الّتي تعلو بنيانه.

- **العنوان الرّئيس في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)):**

إنّ نزار قباني في هذه السّيرة الذّاتية اعتمد الانزياح في المعنى؛ إذ اختار الانزياح في لفظ (القصّة) عن معناه الحقيقي ليأخذ معنى آخر. فما هي الدّلالة الّتي أراد الكاتب إيصالها إلينا من خلال ذلك؟

إنّ العنوان يضعنا للوهلة الأولى أمام معنى القصة، وأوّل ما يتبادر إلى ذهن القارئ الخالي من أيّة مرجعيّة أو مقصديّة قبل قراءة المتن النّصّي أنّه سوف يسمع أحداث قصّة الشّاعر مع شعره، لكن المفاجأة تكمن في أنّ دلالة القصّة جاءت مختلفة لمفهومها ودلالتها العامّة. فالكتاب لم يكن قصّة بل سيرة ذاتيّة لنزار قباني، ممّا يجعلنا

١- الجزّار، محمد، فكري، العنوان وسيميوطيقيا الاتّصال الأدبيّ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، د.ط، ص٩.

٢- قطوس، بسّام، سيمياء العنوان، وزارة الثّقافة، الأردن، ط١، د.ت، ص٣٦.

٣- حسين، خالد، حسين، في نظريّة العنوان (مغامرة تأويليّة في شؤون العتبة النّصيّة)، دار التّكوين، دمشق، د.ط، ٢٠٠٧، ص٩٦.

٤- ينظر: حمداوي، جميل، السّيميوطيقيا والعنونة، ص١٠٠.

٥- بلعابد، عبد الحق، عتبات جيرار جنيت من النّصّ إلى المناصّ، ص١٥٠.

٦- المصدر السّابق، ص٦٧.

نطرح السّؤال الآتي: ما الّذي دعا نزار قباني إلى التّعبير بمصطلح القصّة وقد كان بإمكانه استخدام مصطلح السّيرة الذّاتية؟

إنّ البعد الدّلالي على وفق سيميائيّة بيرس تحقّق في استخدام نزار قباني للمصطلح الّذي يشير إلى بعد فكريّ وثقافيّ واجتماعيّ لديه، ويدلّ أيضاً على تلاحم واضح للكاتب مع جمهوره، ومراعاته للمستوى الفكري والثّقافي لديه، فما يهمّ نزار قباني أن يعرف النّاس حقيقة كتابته للشّعر قبل أن يكتبها النّقاد على هواهم يقول: "أريد أن أكشف السّتائر عن نفسي بنفسي قبل أن يقصّني النّقاد ويفصّلوني على هواهم"[1].

بينما يتحقّق البعد التّداولي للعنوان في أنّ مصطلح القصّة أكثر وروداً وشيوعاً في ثقافتنا العربيّة من السّيرة الذّاتية، وما يؤكّد ذلك وروده في القرآن الكريم ((قصص الأنبياء))، كما نلاحظ أنّ النّاس في مجتمعنا الرّاهن تتداول مصطلح "القصّة" أكثر من مصطلح "السّيرة" الأمر الّذي يفسّر استخدام الكاتب مصطلح القصّة.

أمّا البعد التّركيبي للعنوان الّذي يراعي الجوانب النّحوية فيبيّن أنّ العنوان ((قصّتي مع الشّعر)) جملة اسميّة مبتدؤها ((قصّتي)) وجاء معرّف بياء المتكلّم للدّلالة على الثّبات والتّعيين. أمّا الخبر (شبه جملة المتكوّنة من الظّرف (مع) والمضاف إليه (الشّعر)) فيقود القارئ إلى تحديد نوع هذه القصّة. فورود الخبر شبه جملة يشدّ القارئ ويحفّزه لمعرفة أسرار حياة نزار الشّعرية ولاسيّما أنّ نزار قباني كان شاعراً معروفاً. كما أنّ الدّالّ الثّاني (مع) يوحي بارتباط وثيق بين الشّاعر وشعره، إذ تعمّق العلاقة القائمة بين الدّال الأول المتمثّل في (ذات الشّاعر) والدّال الثّالث المتمثّل في (الشّعر) الّذي نجده في أغلب صفحات الكتاب، فقد أعطاه الكاتب أهميّة كبيرة وجعله نقطة ارتكاز تدور حولها الأحداث فتنطلق منه وتعود إليه، أمّا اقتران ياء المتكلّم بكلمة قصّة جعلها تحمل طابع الذّاتية، لكن هذا الطّابع سرعان ما انتقل إلى الجماعة عندما جاءت كلمة (الشّعر) لأنّ الشّعر هو جسر العبور من الذّاتي إلى الجمعيّ، وهو الرّابط الأمثل بين الشّاعر وجمهوره.

- **العنوانات الدّاخلية في ((قصّتي مع الشّعر)):**

في طيّات كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) سبعة وعشرون عنواناً داخليّاً، تندرج ضمن نصوصه وهي: ((الشّعر قدري، الرّقص بالكلمات، الولادة على سرير أخضر، أسرتي وطفولتي، مدرستي الأولى، تحطيم الأشياء، دارنا الدّمشقية، اغتصاب العالم بالكلمات، مفاتيحي، مصادر الشّعر، القصيدة ذلك المجهول، الجمهور، اللّغة الثّالثة، الحبّ، أنا والدّنجوانية، شاعر النّساء، لماذا المرأة، حبيباتي، سقوط الوثنيّة الشّعرية، الرّحيل، مهاجمة القطار، قالت لي السمراء، هوامش على دفتر النّكسة، حزيران والشّعر، الأسماك، البحث عن أرض جديدة، انتظار مالا ينتظر)).

ولمّا كان العنوان الرّئيس يبنى على علامة سيميائيّة فارقة ألا وهي الشّعر فمن الممكن طرح السّؤال الآتي: هل عنوان الكتاب ((قصّتي مع الشّعر)) يعكس عناوين النّصوص الدّاخلية ومضامينها أو لا؟ وإلى أي مدى تتقاطع هذه العنوانات مع العنوان الرّئيس لفظيّاً ودلاليّاً؟

إنّ العنوان الرّئيس للكتاب ((قصّتي مع الشّعر)) يتقاطع لفظيّاً ودلاليّاً مع عدد من العناوين الدّاخلية للنّصوص؛ منها ((الشّعر قدري، سقوط الوثنيّة الشّعرية، حزيران والشّعر، شاعر النّساء، مصادر الشّعر)) فنجد لفظة الشّعر حاضرة حضوراً صريحاً ممّا يؤكّد أنّ الشّاعر نزار قباني قد خصّص هذا الكتاب للحديث عن تجربته الشّعرية.

١- قباني، نزار، قصّتي مع الشّعر، ص٧.

فالشّعر هو المحور الأساس الّذي تدور حوله أحداث السّيرة. أمّا في عناوين أخرى فنجد أنّ العنوان الرّئيس يتقاطع معها دلاليّاً مثل: ((الرّقص بالكلمات، اغتصاب العالم بالكلمات، اللّغة الثّالثة، القصيدة ذلك المجهول)). ففي هذه العناوين تغيب لفظة الشّعر، إلّا أنّها تحضر ضمنيّاً من خلال الألفاظ ((الكلمات، القصيدة، اللّغة)) الّتي تنتمي جميعاً إلى حقل الشّعر. ونلاحظ أيضاً أنّ بعض عناوين الكتاب الدّاخلية مثل: ((الولادة على سرير أخضر، أسرتي وطفولتي، مدرستي الأولى، تحطيم الأشياء، الحبّ، الأسماك، الرّحيل)) ذات طابع اعترافيّ تمثّل عناوين لمحطّات حياة الشّاعر حتّى إنّ القارئ من خلال استقرائه لعناوين الكتاب يمكن أن يعرف أحداث حياته منذ ولادته وكلّ ما ألمّ به من أفراح ونكبات مثل موت أخته في نصّه ((الحب))، ونكسة حزيران الّتي شكّلت منعطفاً في حياة نزار الشّعرية وتجلّى ذلك في عنوان ((هوامش على دفتر النّكسة)) و ((حزيران والشّعر)). وأشار نزار قباني في عنوانه ((دارنا الدّمشقية)) إلى انتمائه الدّمشقي وبيئته الدّمشقية الّتي كان لها الفضل الأكبر في تكوين شخصيّته الشّعرية. ونلاحظ أيضاً أنّ معظم عناوين الكتاب يحضر فيها ضمير المتكلّم الّذي يدلّ على ذات الشّاعر في عناوين ((حبيباتي، مفاتيحي، مدرستي الأولى، الشّعر قدري، أسرتي وطفولتي، أنا والدّنجوانية)). وعلى الرّغم من هيمنة ذاته في عناوينه إلا أنّه أشار في عناوين أخرى مثل ((لماذا المرأة، مهاجمة القطار، هوامش على دفتر النّكسة، قالت لي السّمراء)) إلى مواضيع حسّاسة (الدّين، المرأة، السّياسة) مقتحماً المحظور، ثائراً على عقليّة مجتمعه الدّينية المتعصّبة وجمودها الفكريّ، منتقداً نظرة مجتمعه الشّرقي القاصرة نحو المرأة، محاولاً إخراجها من قوقعتها مطالباً بحريّتها، وفاضحاً سوء سياسة الحكّام العرب الّذي أدّت إلى هزيمة حزيران ١٩٦٧.

ممّا سبق نجد أنّ عنوان كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) ذو علاقة متينة مع العناوين الدّاخلية ومضامينها؛ إذ تمثّل العناوين أسماء لتجارب مرت على الشّاعر خلال مسيرته الشّعريّة، أمّا النّصوص فهي سرد مفصّل لتلك التّجارب.

• العنوانات الدّاخليّة ذات البعد النّقديّ والأدبيّ:

يشكّل النّقد الأدبيّ المساحة الأكبر في كتاب ((قصّتي مع الشّعر))؛ إذ تفوق العناوين ذات البعد النّقدي العناوين الأخرى، فنجد نزاراً يخصّص ما يقارب أحد عشر عنواناً للحديث عن الشّعر وأهمّ القضايا المتعلّقة به وهي: ((الشّعر قدري، الرّقص بالكلمات، اغتصاب العالم بالكلمات، انتظار ما لا ينتظر، اللّغة الثّالثة، الجمهور، القصيدة ذلك المجهول، مصادر الشّعر، مفاتيحي، سقوط الوثنيّة الشّعرية، البحث عن أرض جديدة)). ففي افتتاحيّة الكتاب يتحدّث عن الشّعر بطريقة عفويّة إنشائيّة مردّها إلى نظرته الشّعرية المتكوّنة عبر تجربته العمليّة الخاصّة فنراه يعبّر عن الصّلة النّفسية والعاطفيّة الّتي تربطه بالشّعر وتسيطر على مراحل خلقه له. ويحدّد نزار قباني مسار القصيدة العربية وتحولاتها في عنوانه ((القصيدة ذلك المجهول))، وفي عنوانه ((مصادر الشعر)) اتخذ الحياة البشريّة مصدراً لشعره؛ إذ يقول: "مصادر الشّعر بشريّة وكتابته عمل من أعمال البشر"[١]، وفي عنوانه ((اللّغة الثّالثة)) كسر أفق التّوقع في مجال اللّغة، ونوّع لغته بين الفصحى والعاميّة مؤسّساً لنفسه معجماً لغويّاً خاصّاً به، يقول: "كان لابدّ من فعل شيء لإنهاء حالة الغربة الّتي كنا نعانيها. وكان الحلّ هو اعتماد (لغة ثالثة) تأخذ من اللّغة الأكاديميّة منطقها وحكمتها ورصانتها، ومن اللّغة العاميّة حرارتها وشجاعتها وفتوحاتها الجريئة"[٢].

١- قباني، نزار، قصّتي مع الشّعر، ص٢٢١.

٢- المصدر السّابق، ص١٢٩.

وتأتي سيرته على أهمّ المفاتيح الّتي تغذّيه بالشّعر في عنوانه ((مفاتيحي)) يقول: "مفاتيح شعري ثلاثة: الطّفولة، والثّورة، والجنس"[1]، كما اهتمّ الشّاعر بالجمهور ومراعاته للمستوى الثّقافي لديه وتجلّى ذلك في عنوانه ((الجمهور)) يقول: "الشّعر يد .. والجمهور باب .. والشّاعر الّذي لا يتجه بشعره إلى أحد، يبقى نائماً في الشّارع"[2]. فالجمهور لديه أهمّ عوامل نجاح مسيرة نزار قباني الشّعرية. كما أعلن نزار قباني في عنوانه ((سقوط الوثنيّة الشّعرية)) تمرّده على الموروث اللّغوي القديم، إضافةً إلى سعيه الدّائم وبحثه المستمر عن أساليب جديدة في عملية خلقه للشّعر ويتجلّى ذلك في عنوان نصّه ((البحث عن أرض جديدة)).

• العنوانات الدّاخليّة ذات البعد السّياسيّ:

تجلّى البعد السّياسي في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) من عنوانين اثنين ((هوامش على دفتر النّكسة، حزيران والشّعر)) اللّذين خصّصهما للحديث عن نكسة حزيران الّتي تعد المحرك الأساسيّ لشعر نزار السّياسي، فقام بتحليل أسباب الهزيمة، وتداعياتها، متّهماً العقليّة العربيّة بالانسلاخ عن زمانها وما يدور فيه، وانشغال السّياسات والشّعوب بالكلام دون الفعل، موضّحاً أثر هذه الهزيمة في نفسه، فالهزيمة الحزيرانيّة لم تكن هزيمة عسكريّة بقدر ما كانت هزيمة نفسيّة: "حزيران الّذي سأتكلّم عنه هو حزيران النّفسي الّذي تفوق آثاره في نظري آثار حزيران العسكريّ"[3].

• العنوانات الدّاخليّة ذات البعد الاجتماعيّ:

لقد تعاطى نزار قباني مع قضايا مجتمعه تعاطياً مختلفاً، فلم يتناول مواضيع الفقر والجهل والتّشرد، إنّما جعل قضيّته المحوريّة (المرأة) حتّى لقب بشاعر النّساء، وعبّر عن علاقته بها وطبيعة تفكيره فيها في عناوين نصوصه ((لماذا المرأة، شاعر النّساء، الحبّ، حبيباتي))، وتجلّى ذلك في طرح شؤونها وقضاياها طرحاً جريئاً، والمناداة بحقوقها وحرّيتها، وجاء جديده في تنوّع نظرته لها فمرّةً يرمز بها إلى الوطن، ومرّةً إلى الشّعر، ومرّةً إلى الحبّ والحياة. وإذا ربطنا تركيز نزار قباني على موضوع المرأة وقضاياها بالعامل النّفسي، فنجد أنّ انتحار أخته وصال كان له الأثر الأكبر في أن يكرّس شعره للدّفاع عن المرأة من مجتمع شرقيّ يرفض أن يخرجها من أقبية الحريم إلى ساحة الحرّيّة يقول: "وأنا حين أرفض فكر قبيلتي، ومواقفها الأرثوذكسيّة من المرأة، فلأنّي لا أؤمن أصلاً بممالك تعتبر الأنوثة عاراً، والنّساء مواطنات من الدّرجة الثّانية"[4].

• العنوانات الدّاخليّة ذات البعد الدّينيّ:

البعد الدّيني في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) جليّ واضح في ردّة فعل رجال الدّين ضد نزار قباني، عندما نشر الدّيوان الأوّل من الشّعر ((قالت لي السّمراء))؛ إذ قال الشّيخ الطّنطاوي عنه: "طبع في دمشق منذ سنة كتاب صغير زاهي الغلاف ناعمه، ملفوف بالورق الشّفّاف الّذي تلفّ به علب ((الشّكولاته)) في الأعراس، يشتمل على وصف ما يكون بين الفاسق والقارح والبغي المتمرّسة الوقحة وصفاً واقعيّاً، لا خيال فيه، لأنّ صاحبه ليس بالأديب الواسع الخيال، بل هو مدلّل غنيّ، عزيز على أبويه، وهو طالب في مدرسة. وقد قرأ كتابه الطّلاب في مدارسهم

1- قباني، نزار، قصّتي مع الشّعر، ص٨٥.

2- المصدر السّابق، ص١٧٣.

3- المصدر السّابق، ص٢٤٤.

٤- المصدر السّابق، ص١٨٧.

والطّالبات"[١]. وهذا الكلام دليل على الحقد الغبيّ والشّخصي النّابع من خلفيّة موجهة، تتجاوز الأثر الأدبيّ وقيمته لتشمل الحياة الخاصّة للكاتب، وصوّر نزار قباني هذه النّظرة الدّينية القاصرة في عناوين نصوصه ((مهاجمة القطار، وقالت لي السّمراء)).

• العنوانات الدّاخليّة ذات البعد الحضاريّ والثّقافيّ:

اتّخذت مضامين نصوص عدّة من كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) بعداً ثقافيّاً وحضاريّاً وتجلّى ذلك في عناوين النّصوص الآتية: ((دارنا الدّمشقية، أسرتي وطفولتي، الولادة على سرير أخضر، تحطيم الأشياء، الأسماك، مدرستي الأولى، الرّحيل))، فكانت مرآة تعكس الفكر الجماعيّ والتّقاليد الجمعيّة في المجتمعات الّتي عاش فيها الكاتب نزار قباني، وأوّل هذه المجتمعات مجتمعه الدّمشقي الّذي عاش فيه طفولته وتشبّع بثقافته فصوّر لنا حضارة مدينته دمشق وجمالها من خلال وصفه الدّقيق لبيئته الدّمشقية الفريدة في نصّه ((دارنا الدّمشقية، والولادة على سرير أخضر)) يقول: "والّذين سكنوا دمشق، وتغلغلوا في حاراتها وزواريبها الضّيّقة، يعرفون كيف تفتح لهم الجنّة ذراعيها

من حيث لا ينتظرون... بوّابة صغيرة من الخشب تنفتح، ويبدأ الإسراء على الأخضر، والأحمر، واللّيلكي، وتبدأ سمفونيّة الضّوء والظّل والرّخام"[٢]. وفي نصّه ((مدرستي الأولى)) وصف لنا طريق مدرسته المغرق في دمشقيّته معرّفاً ببعض المعالم الحضاريّة في مدينته يقول: "موقع المدرسة كان موقعاً بمنتهى الأهميّة، فلقد كانت مزروعة في قلب مدينة دمشق القديمة، حيث كنّا نسكن، ومن حولها ترتفع مآذن الجامع الأمويّ وقبابه"[٣]. وفي نصّه ((الرّحيل)) يعرّفنا نزار قباني بحضارات وثقافات الشّعوب الأخرى من خلال حديثه عن تجاربه في أثناء عمله في السّلك الدّبلوماسي، ومن هذه البلدان الّتي زارها : الصّين، إنكلترا، إسبانيا، ولكلّ منها ميّزات خاصّة حضاريّة وثقافيّة، ففي إنكلترا نجد الحريّة الفكريّة، وفي الصّين المعاناة من الانعزاليّة، أمّا إسبانيا فقد كانت أرض التّوتر والانفعال.

• شعريّة العنوان في ((قصّتي مع الشّعر)):

إنّ المتأمّل في عناوين كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) يكتشف جهود الشّاعر في عمليّة خرق لغة الاستعمال المتواضع عليها، وهذا الخرق يحقّق نوعاً من الشّعرية للعناوين ومنها:

* الرّقص بالكلمات:

إنّ هذا العنوان يوقع المتلقّي في حيرة ويشكّل عنده كثيراً من الأسئلة: ما علاقة الرّقص بالكلمات؟ وهل هذا الرّقص حقيقيٌّ أو مجازيٌّ؟ إنّ العنوان يحمل بعداً غامضاً لما فيه من مجاز، فالكاتب جعل الكلمات كالكائن الحيّ ممّا أجبر المتلقّي على استخدام خياله لكي يفكّ رموز العنوان. فلفظة الرّقص تنتمي إلى الحقل الجسديّ، ولفظة الكلمات تنتمي إلى الحقل الفكريّ، والعلاقة بين الفكر والجسد علاقة تكامل، فما هي العلاقة الّتي تربط بين الرّقص والكلمات؟

---

١ – قباني، نزار، قصّتي مع الشّعر، ص٩٤.

٢– المصدر السّابق، ص٣١.

٣– المصدر السّابق، ص٤١.

يقول نزار: "الشّعر هو رقص، والشّعر رقص باللّغة... رقص بكلّ أجزاء النّفس، وبكلّ خلجاتها الإراديّة واللاّإرادية، وبكل طبقاتها الظّاهرة والمستترة..."[١]. فالرّقص وسيلة للفرح، أما الكلمة وسيلة الشّعر. والفرح لدى الكاتب يرتبط بعلاقة وثيقة مع كتابة الشّعر لأنّ الشّعر هو رسالة الكاتب في الحياة. فالكلمة لدى الكاتب رقصة، والرّقص لديه هو ترجمة للكلمات يقول: "وأنا بصراحة أحبّ أن أرقص ولا يعنيني أبداً أن أقيس خطواتي، لأنّ مجرد التّفكير بما أفعل يفقدني توازني"[٢]. فالرّقص تعبير عن الحريّة، وهو تفريغ لطاقات الشّاعر العاطفيّة إذ يتجاوز كلّ ما هو ممنوع عند الرّقص. فالكلمة عند الرّقص تؤدّي دورها الفعّال دون قيود وبحريّة مطلقة، لذلك كان الرّقص إبداعاً لدى الكاتب.

* اغتصاب العالم بالكلمات: إنّ عنوان (اغتصاب العالم بالكلمات) يضعنا أمام جماليّة خاصّة؛ إذ يبنى على تضادّ بين ما هو فعل إجراميّ، وما هو فعل عقليّ وفكريّ، لأنّ الاغتصاب ينتمي إلى حقل الإجرام والوحشيّة، والكلمات تنتمي إلى حقل الفكر والمعرفة، وليس من المنطق اجتماع هاتين الكلمتين، ولذلك الكلمات اكتسبت دلالة شعريّة عندما أسند إليها فعل الاغتصاب؛ لأنّ الاغتصاب بوصفه دالّاً لا يشير إلّا لمدلول واحد وهو الألم والإجرام، ولكن عندما أسند إلى الكلمات أشار إلى معنى مغاير للأوّل وهو كسر القيود البالية والتّخلص من سيطرة اللّغة والأفكار القديمة يقول الكاتب: "والاغتصاب يعني تمزيق الغشاء الّذي تنسجه المفردات والأفكار والعواطف حول نفسها مع تقادم الزّمن، إنّه يعني إخراج الشّعر من مملكة الإدمان والعادة إلى مملكة الدّهشة"[٣]. فالاغتصاب هنا حمل معنى الخلق والتّجدّد والإبداع، وأعطى للعنوان جماليّة خاصّة تشدّ القارئ إليه.

• العنوان المتناصّ في ((قصّتي مع الشّعر)):

"التّناصّ عمل تثاقفيّ من طبيعته التّمثّل والحوار والتّفاعل مع الآخر يثبت أنّ المبدع لا يبدأ من الصّفر، وإنّما يبدأ مع الآخرين من حيث انتهوا. والاهتمام بطاقة العنوان السّيميائية تدفعنا شئنا أم أبينا، إلى قراءة مستوى العنوان في تناصّاته مع الموروث؛ الكتب المقدسة أو الموروث الفكريّ والأدبيّ والعالميّ"[٤]. وتبين من خلال الفحص الظّاهري لبعض العناوين في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) وجود نوعين من التّناص وهما: التّناص الذّاتي والتّناص الغيري (الخارجي).

أ- التّناصّ الذّاتيّ:

إنّ المتأمّل في العناوين الدّاخلية لكتاب ((قصّتي مع الشّعر)) يلاحظ التّعالق القائم بين عناوين الكتاب وعناوين الدّواوين الشّعرية للكاتب نفسه، وذلك في عنوانين هما: ((هوامش على دفتر النّكسة، وقالت لي السّمراء))، إذ يظهر على نحوٍ جليّ أنّه يحاكي عناوين دواوين شعريّة له محاكاة حرفيّة من حيث البنية النّحوية، ومن حيث البنية

١- قباني، نزار، قصّتي مع الشّعر، ص١٧.

٢- المصدر السّابق، الصّفحة السّابقة.

٣- المصدر السّابق، ص٨٣.

٤- قطّوس، بسّام، سيمياء العنوان، ص١٦٢.

الدّلاليّة، وسندرس كلّ عنوان على حدى:

* قالت لي السّمراء:

عمد نزار قباني إلى وسم أحد نصوص كتابه بعنوان (قالت لي السّمراء) بعد مرور أكثر من عقدين على تأليفه لديوان ((قالت لي السّمراء))، وهو أوّل ديوان شعريّ له أصدره عام ١٩٤٤، وكان من الضّروري ورود هذا العنوان في نصوص سيرته، نظراً لما يشكّله من نقطة تحدٍ بارزة في حياته الشّعرية؛ إذ وجهت حوله كثيراً من الانتقادات والاتّهامات؛ لأنّه تناول في ديوانه المرأة. فعنوان (قالت لي السّمراء) يحمل دلالات عدّة، إذ يوحي بوجود حوار بين الكاتب والفتاة السّمراء، فما هي الحوارات الّتي دارت بينهما؟ وإلى ماذا قادت؟ ولماذا اختار السّمراء خاصّة؟ إن فعل القول يوحي بأنّ الحديث هنا لم يكن عاديّاً إنّما هو خارج عن المألوف عندما وجه إلى الفتاة السّمراء خاصّة وهي المرأة العربيّة الّتي قرّرت الخروج عن قوقعة القيود البالية، والانتصار على عقلية المجتمع الذّكورية، وأصرّ نزار قباني على اللّون الأسمر؛ لأنّه لون الأرض حيث تتوحّد المرأة بالأرض لديه ومشكّلة لديه قضيّة واحدة.

* هوامش على دفتر النّكسة:

إنّ عنوان (هوامش على دفتر النّكسة) جاء متناصّاً مع عنوان قصيدة الشّاعر (هوامش على دفتر النّكسة) الّتي ألقاها بعد نكسة حزيران، وقد أورد نزار هذا العنوان في سيرته؛ لأنّ النّكسة شكّلت منعطفاً قاسياً ونقطة تحوّل مركزيّة في حياته الشّعرية؛ إذ أعلنت على نحوٍ صريحٍ ميلاد أشعاره السّياسيّة، فلفظة هوامش توحي للوهلة الأولى بقيمتها الضّحلة، ولكن عندما خصّص لها دفتراً أسماه (دفتر النّكسة) تبين أنّ لهذه النّكسة آثاراً أليمة وانكسارات قاسية على نفسيّة نزار قباني، ومن العنوان نلاحظ أنّ مضمون النّصّ جاء للحديث عن مسبّبات هذه النّكسة وآثارها في نفسيّة الشّاعر ونفسيّة كلّ إنسان عربيّ حرّ، ممّا يوحي بصدق السّيرة وشفافيّتها.

ب- التّناصّ الخارجيّ (الغيريّ):

إنّ التّناصّ الغيريّ في كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) يتجلّى في التّناص مع الخطاب الدّيني ويقصد به الأحكام والمواقف الموجودة في القرآن الكريم، والكتاب المقدّس، والحديث النّبويّ الشّريف، وقد أظهرت العناوين في الكتاب وجود هذا النوع في عنوانين هما: الشّعر قدري، وسقوط الوثنيّة الشّعريّة.

* الشّعر قدري:

إنّ المتلقي لعنوان (الشّعر قدري) يتبادر إلى ذهنه ما جاء في النّصّ القرآنيّ والحديث النّبويّ الشّريف، إذ وردت لفظة القدر في أكثر من موضع ممّا يجعلنا نتساءل: ما العلاقة بين الشّعر والقدر؟ إنّ العلاقة بينهما متفارقة في حضورها الدّلالي. فلماذا جمع الكاتب بين هاتين الكلمتين؟ "إنّ الشّعر تدفّق تلقائيّ لمشاعر قويّة يتمّ تذكّرها عند الهدوء، أمّا القدر فهو النّصيب والمصير وهو الّذي يتحكم في ميلاد وحياة وموت جميع الأفراد"[١].

وإذا تأمّلنا في معنى التّعريفين نجد أنّ هناك التقاء بينهما، فالقدر من عند الله، والشّعر إلهام من الله لا قدرة للعبد على التّحكم به.

١- فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبيّة، المؤسّسة العربيّة للنّاشرين المتّحدين، تونس، ط٢، ١٩٨٦، ص٣٠٠-٢١٥.

* سقوط الوثنيّة الشّعريّة:

إنّ عنوان (سقوط الوثنيّة الشّعريّة) يعيدنا إلى التّساؤل عن علاقة هذا العنوان بأيّام الجاهليّة قبل الإسلام، إذ كانت عبادة الأوثان والأصنام وقد ورد ذلك في القرآن الكريم: ﴿فاجتنبوا الرّجس من الأوثان﴾[1] لكن معنى الوثنيّة هنا جاء مختلفاً ويشير إلى القيود الّتي تلزم القصيدة العربيّة. فنزار قباني رافض لهذه القيود رفضَ المسلمين للأوثان وعبادتها، ويطالب بسقوط هذه القيود الصّارمة الّتي تحكم القصيدة العربيّة كما طالب المسلمين بتحطيم الأصنام الّتي كانت تملأ الكعبة يقول: "برغم أنّ الإسلام اقتلع الوثنيّة، وصفّى قواعدها، إنّما بقيت الوثنيّة الشّعريّة صامدة، وبقي الوثنيّون يحكمون اللّسان العربيّ، ويسيطرون بقوّة الاستمرار والوراثة"[2]. فنزار قباني يطالب بثورة تحمي القصيدة العربيّة وتعيد إليها ألقها ورونقها، ويعبّر فيها عن أفكاره ورؤاه بحريّة دون قيود أو شروط.

النّتائج:

بعد رحلة البحث في عناوين ((قصّتي مع الشّعر))، وبوصول البحث إلى خاتمته نسجّل أهمّ النّتائج الّتي توصّلنا إليها وتتخلّص في الآتي:

- إنّ السّيرة الذّاتية جنس أدبيّ يتطلّب حضور سمات معينة، وغياب بعضها يحيل السّيرة إلى أجناس أدبيّة أخرى، وأهمّ تلك العناصر الميثاق، والتّطابق بين المؤلّف والسّارد والشّخصية، وبناءً على ذلك حاولنا تجنيس كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) مستعينين بالعنوان بوصفه عنصراً حاسماً في تجنيس السّيرة الذّاتية؛ إذ تحمل عناوين الكتاب إشارات تربط بين الكاتب ونصّه، وأهمّها ضمير المتكلّم الّذي ظهر ظهوراً واضحاً في العناوين الآتية: ((قصّتي مع الشّعر، الشّعر قدري، مفاتيحي، حبيباتي، أسرتي وطفولتي، مدرستي الأولى، أنا والدّنجوانية)). فضمير المتكلّم هنا يحيل إلى ذات الشّاعر نزار قباني ويجعله ملتصقاً بنصّه التصاقاً تامّاً ممّا يؤكّد مصداقيّة السّيرة وشفافيّتها.
- إنّ دلالة العنوان الرّئيس ((قصّتي مع الشّعر)) تلتحم وتتظافر مع دلالات العناوين الدّاخليّة؛ إذ تتقاطع معه إمّا لفظيّاً وإمّا دلاليّاً وذلك في العناوين: ((الشّعر قدري، سقوط الوثنيّة الشّعريّة، شاعر النّساء، حزيران والشّعر، مصادر الشّعر، الرّقص بالكلمات، اغتصاب العالم بالكلمات، القصيدة ذلك المجهول، اللّغة الثّالثة)) لتكون دلالة العامّة للكتاب.
- اهتمّت الدّراسات السّيميائيّة بدراسة دلالة العنوان بوصفه عتبة يسبر المتلقّي أغوارها للدّخول إلى متن النّصّ وفهمه، لذلك فهو المفتاح الأساسيّ لفهم الدّلالة الكليّة للكتاب، ووجدنا في عناوين ((قصّتي مع الشّعر)) تنوّعاً في الأبعاد الدّلاليّة الّتي تعكس موقف الكاتب ورؤاه من العالم، إذ نلمح الأبعاد الآتية:
- البعد النّقديّ والأدبيّ وتجلّى ذلك في العناوين ((الشّعر قدري، والرّقص بالكلمات، واغتصاب العالم بالكلمات، واللّغة الثّالثة، والجمهور، مصادر الشّعر، ومفاتيحي، القصيدة ذلك المجهول، وانتظار ما لا ينتظر، والبحث عن أرض جديدة)) الّتي شغلت النّسبة الأكبر من عناوين الكتاب.

١- سورة الحجّ، الآية ٣٠.

٢- قباني، نزار، قصّتي مع الشّعر، سقوط الوثنيّة الشّعريّة، ص١٩٩.

- البعد السّياسيّ: حضرت السّياسة في العنوانين ((هوامش على دفتر النّكسة، حزيران والشّعر)). فنكسة حزيران قد أعلنت الميلاد الحقيقيّ لولادة الشّعر السّياسي عند نزار قباني.
- البعد الاجتماعيّ: تجلّى البعد الاجتماعيّ في عناوين النّصوص الآتية: ((لماذا المرأة، الحبّ، حبيباتي، شاعر النّساء)). فالمرأة هي أهمّ القضايا الّتي دافع عنها نزار قباني وطالب بحرّيتها من القيود البالية جميعها.
- البعد الدّينيّ: تجلّى البعد الدّينيّ في نصّيه ((قالت لي السّمراء، مهاجمة القطار))؛ إذ صوّر لنا نظرة رجال الدّين القاصرة لشعره وأدبه.
- البعد الحضاريّ والثّقافيّ: إنّ القارئ لعناوين كتاب ((قصّتي مع الشّعر)) ونصوصه يتعرّف على حضارة وثقافة العديد من البلدان، وظهر ذلك جليّاً في عناوينه: ((الولادة على سرير أخضر، دارنا الدّمشقيّة، مدرستي الأولى، الرّحيل)).
- إنّ نزار قباني عني عناية فائقة في تشكيل العناوين الدّاخليّة لكتابه، وتوجّهه هذا يدلّل على رغبته في تحقيق قدر من التّأثير في المتلقّي، تارةً عن طريق الإغراء، وتحقّق هذا عبر توظيف المكان عنواناً لنصوصه ((الولادة على سرير أخضر، دارنا الدّمشقيّة))، والتّناصّ الّذي جاء على أنواع متعدّدة (خارجيّ وداخليّ) شكّلت ظاهرة في عناوينه: ((هوامش على دفتر النذكسة، قالت لي السّمراء، الشّعر قدري، سقوط الوثنيّة الشّعريّة))، ومرّةً أخرى عن طريق المفاجأة وهذا ما تحقّق عن طريق التّنافر الدّلاليّ في عناوينه: ((الرّقص بالكلمات، اغتصاب العالم بالكلمات)).

إنّ نصّ نزار قباني السّيرذاتي فيه الحقول الدّلاليّة ذات الأبعاد السّيميائيّة، الّتي مازالت تنتظر مزيداً من الدّراسات والأبحاث.

ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

١- الباردي، محمّد، عندما تتكلّم الذّات، *السّيرة الذّاتية في الأدب العربيّ الحديث*، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريّة، د.ط، ٢٠٠٥.

٢- بلعابد، عبد الحقّ، *عتبات جيرار جنيت من النّصّ إلى المناص*، منشورات دار الاختلاف، ط.٢ ، ٢٠٠٨.

٣- الجزّار، محمّد، فكري، *العنوان وسيميوطيقيا الاتّصال الأدبيّ*، *الهيئة المصريّة العامّة للكتاب*، القاهرة، د.ط، ١٩٩٨.

٤- حسين، خالد، حسين، *في نظريّة العنوان مغامرة تأويليّة في شؤون العتبة النّصيّة*، دار التّكوين، دمشق، د.ط، ٢٠٠٧.

٥- سوسير، فردينان دي، *علم اللّغة العامّ*، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الآفاق العربيّة، الأعظميّة، بغداد، د.ط، ١٩٨٥.

٦- شاكر، تهاني، عبد الفتّاح، *السّيرة الذّاتية في الأدب العربيّ (فدوى طوقان، وجبرا إبراهيم جبرا، وإحسان عبّاس)*، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

٧- شرف، عبد العزيز، *أدب السّيرة الذّاتية*، الشّركة المصريّة العامّة للنّشر، لونجمان، مصر، ط١، ١٩٩٢.

٨- ضيف، شوقي، التّرجمة الشّخصيّة، دار المعارف، القاهرة، ط٤ ، ١٩٨٧.

٩- عبد الدّايم، يحيى، إبراهيم، *التّرجمة الذّاتية في الأدب العربيّ الحديث*، مكتبة الهيئة المصريّة العامّة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٥.

١٠- فتحي، إبراهيم، *معجم المصطلحات الأدبيّة*، المؤسّسة العربيّة للنّاشرين المتّحدين، تونس، ط٢، ١٩٨٦.

١١- قباني، نزار، *قصّتي مع الشّعر*، منشورات نزار قباني، بيروت-لبنان، ط٩، ٢٠٠٠.

١٢- قطّوس، بسّام، *سيمياء العنوان*، وزارة الثّقافة، الأردن، ط١.

١٣- لوجون، فيليب، *السّيرة الذّاتية*، الميثاق والتّاريخ الأدبيّ، تر: عمر حلي، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤.

١٤- ماي، جورج، السّيرة الذّاتية، تر: محمد القاضي، عبد الله صولة، مكتبة الأدب العربيّ، القاهرة، ط١، ٢٠١٧.

١٥- المبخوت، شكري، *سيرة الغائب*، سيرة الآتي، السّيرة الذّاتية في كتاب الأيّام لطه حسين، دار الجنوب للنّشر، تونس، ط١، ١٩٩٢.

١٦- ابن منظور، *لسان العرب*، تح: أمين عبد الوهاب، محمّد العبيدي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٦، مادة سوم، سير، عنا.

١٧- هياس، خليل، شكري، *سيرة جبرا الذّاتية في شارع الأميرات والبئر الأولى*، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠٠.

المجلّات والدّوريّات

١- حمداوي، جميل، *السّيميوطيقيا والعنونة*، مجلّة عالم الفكر، مج٢٥، ع٣، الكويت، ١٩٨٧.

٢- حميداتو، علي، بين السّيرة الذّاتيّة والتّخييل الذّاتي من التّأسيس إلى التّجنيس، جامعة البليدة، ع٨، ماي، ٢٠١٧.

٣- رضا، عامر، *سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي*، مجلّة الواحات للدّراسة والبحث، مج٧، ع٢، ٢٠١٤.